التفكر بآلاء الله ونعمة الإسلام

د. فلاح نجم عبد الله العاني

أستاذ في كلية الإمام الأعظم - ديوان الوقف السني

الحلقة (٢)

إننا نعيش في زمانٍ كثرت فيه الفتن، ومن أخطر هذه الفتن: ظهور طائفة من الناس في الدول الإسلامية ينكرون وجود الله تعالى، ويسندون ما يحدث في هذا الكون إلى الطبيعة، أو إلى الصدفة، ويجهرون بذكر أدلتهم الواهية الباطلة على إنكار وجود الخالق العظيم في وسائل الإعلام، مستغلِّين ضعفَ عقيدة توحيد الله تعالى عند بعض المسلمين.

كذَلِكَ عَنْدما ندرس الكون؛ نرى فِيه هداية كاملة من أصغر ذراته إِلَى أكبر أجرامه، من أبسط أشكاله إِلَى أعقد مظاهره؛ فما هو تعليل ذَلِكَ؟

كيف وجد ذَلِكَ؟

وكيف استمر؟

وكيف ثبت؟

هُنَالِكَ جواب واحد يقدمه العقل على ذَلِكَ، وهو وُجُود ذاتٍ هادية، وُجُودُ الله.

لا يمكن أن يعلَّل مثل ذَلِكَ إلا بوجود الله تبارك وتعالى العليمِ الحكيمِ القديرِ، الَّذِي هو سبحانه وتعالى يريد ما يشاء، ويفعل بما يريد.

لو أنك – مثلاً – نظرت إِلَى ثعبان الماء: متى اكتمل نموه؟ هاجر من مختَلَفِ البِرَكِ والأنهار قاطعًا آلاف الأميال فِي المحيط، قاصداً إِلَى الأعمال السحيقة جنوب بَرْمُودَا، حيث ملتقى ثَعَابِينِ الماء فِي كل أنحاء العالم، فتبيض الإناثُ وتموت، وأما صغارها تلك التي لا تملك وسيلة تتعرف بها على أي شيء سوى أَنَّهُا فِي مياه غريبة؛ فإنها تعود أدراجَها مرة أخرى؛ كيف؟ تجد طريقها إِلَى الشاطئ الَّذِي جاءت منه أمهاتها، ومِنْ ثَمَّ إِلَى كل نهرٍ أو بُحَيْرَةٍ أو بِرْكَةٍ صغيرة، ولذا يظل كل جسم من الماء آهِلاً بثعابين البحار، ولم يحدث قط أنْ صِيدَ ثعبانُ ماءٍ أمريكيٌّ فِي المياه الأوروبية – مثلاً –، لم يدخل فِي المياه الإقليمية الأوروبية ثعبانٌ أمريكي، ولم يخترق هذا السياج؛ من الَّذِي دل هذا على هذا؟!!

ومن الَّذي علمه؟!!

ومن الَّذي أرشده؟!!

الجراد البالغ من العمر سبعة عشر عامًا فِي ولايةِ «يُوإِنجِلاَنْدَ» يغادر شقوقه تحت الأَرْض، حيث عاش فِي ظلام مع تغير طفيف فِي درجة الْحَرَارَة، ويظهر بالملايين فِي الرابع والعشرين من مايو من السنة السابعة عشرة من عمره تمامًا، بحيث يَضْبِطُ مواعيدَه للظهور فِي اليوم تقريبًا – أي فِي ذَلِكَ اليوم – بهداية يعجز الإنسان عَنْها لو أَنَّهُ استعمل التقويم.

خطر لعالم أمريكي أن يستفرخ البيض دون حضَّانة الدجاج؛ بأن يضع البيض فِي نفس الْحَرَارَة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جمع البيض، ووضعه فِي جهاز التفريخ؛ نصحه فلاحٌ أُمِّيٌّ أن يُقَلِّبَ البيض؛ لأَنَّهُ رأى الدجاجة تفعل ذَلِكَ، فسخر منه العالم، وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل من البيضة حرارة جسمها التي حُرِمَتها، وأما هو؛ فقد أحاط البيضَ بجهاز يَشِعُّ حرارة ثابتة لكل أجزاء البيض.

استمر العالم فِي عمله حتى جاء دور الفَقْسِ، وفات ميعاده ولم يخرج فرخٌ واحد، ولا فَقَسَت بيضة واحدة، فأعاد التجربة آخذًا بنصيحة الفلاح، أو بالأحرى: أراد أن يقلد الدجاجة، فصار يقلب البيض حتى إِذَا وَاتَى ميعادُ الفَقْسِ؛ خَرَجَت الفَرَارِيجُ.

ما هو التعليل الْعِلْمي لهذا؟

آخِر تعليل علمي لتقليب البيض – وهو ما تقوم به الدجاجة – أن الفرخ حينما يخلق فِي البيضة؛ ترسب المواد الغذائية فِي الجزء الأسفل من جسمه، فإذا بقي بدون تحريك لأوعيته؛ أدى ذَلِكَ إِلَى هلاكه، فالدجاجة لا تقلب البيض لِذَلِكَ لا فِي اليوم الأول ولا فِي اليوم الأخير؛ فمن الَّذي عَلَّمها؟!

هذه الهداية الكاملة في عملية بناء هذه العمليات المعقدة التي تؤدي إِلَى بقاء الأجناس المختلفة فِي الأَرْض في الدجاج، بقي بهذه العملية الدجاج فِي العالم؛ لأَنَّهُ يعلم تمامًا ما ينبغي أن يفعله، الدجاج يعرف تمامًا ما ينبغي أن يفعله، وما فعلته الدجاجة الأولى حتى استمر جنس الدجاج فِي الأَرْض؛ من أين أتت به؟!

ومن الَّذي عَلَّمها؟!

لو أنك نظرت إِلَى ترتيب الأذن فِي الإنسان وفي عدد من الحيوانات الأخرى؛ فلا يمكن أبدًا لأي عاقل أن يتصور حدوث ذَلِكَ عَنْ طريق المصادفة، للأذن طبلة تستقبل الموجات الصوتية، فتتذبذب تلك الطبلة،

هذه الذبذبات تؤثر فِي ثلاث عظام دقيقة مرتبة ترتيبًا معينًا، والضغط على جانبي الطبلة ينبغي أن يكون متساويًا، لهذا الغرض تمتد أنبوبة خلف الطبلة تُوصِلُ إِلَى تجويف الأنف؛ لكي يكون هُنَاكَ تعادل بين الضغط فِي الجانبين – أي فِي جانبي الطبلة –، لِذَلِكَ إِذَا ركبت الطائرة واختلف ضغط الهواء؛ يقال لك: افتح فمك، تنفس من فمك، وإلا طارت الطبلة؛ لأن الضغط يكون شديداً، ولا يكون الضغط خلف غشاء الطبلة من الداخل مساويًا للخارج، فمع الضغط يمكن أن يطير، فيقول لك حينئذ: تنفس من فمك؛ لكي تعادل الضغط فِي الداخل مع الضغط على الطبلة طبلة الأذن من الخارج.

فهُنَالِكَ أنبوب خلف الطبلة يوصل إِلَى تجويف الأنف، ويصل بالجزء الداخلي للأذن عظمة تشبه القوقعة فِي شكلها، وظيفتها تحليل الصوت، وهي تؤدي وظيفة أخرى هي مسألة الحفاظ على التوازن، ولِذَلِكَ الَّذِينَ يدورون يدورون؛ يختل هذا السائل الَّذِي يحفظ التوازن فِي القوقعة فِي الأذن الداخلية، فإذا ما اختل؛ لا يستطيع هو أن يحفظ توازنه، وهذا يفعله الصبيان أو الغلمان أو الأطفال عَنْدما يدورون، ثم لا يستطيع الواحد منهم أن يحفظ توازنه؛ من أجل أن هذا السائل حدث له اختلال؛ لأَنَّهُ مثلُه – لا أقول هو مثل؛ بل مثله – ميزان الماء.

تتميز الأنغام المختلفة على حسب الذبذبات عَنْد نقلها إِلَى المخ من أجل التفسير، هذا يفسَّر صوتًا، وأنت تعرف صوت فلان من فلان وأصواتَ المخلوقات بعضَها من بعض، كيف تُرْجِمَتْ هذه الاهتزازات إِلَى شيء أنت تسمعه وتدركه؟

وكذَلِكَ هذا الضوء عَنْدما ينعكس على الأشياء، ثم يأتي إِلَى العين، ويُنْقَلُ عَنْ طريق العصب البصري إِلَى مركز الترجمة فِي المخ، وفيه أَيْضًا تكبير؛ لأنك خبير بأنك إِذَا رأيت جملاً؛ فعينك صغيرة، ومُخُّكَ ليس بحجمِ الجمل، يعني كلما رأيت شيئًا يكون مُخُّكَ مثلَ ما رأيت؟!

فكيف تعطيه أنت نسبة التكبير التي تجعله على حقيقته؟!

هذا تفسيره فِي المخ، فأنت ترى الأشياء على حقيقتها، مع أَنَّهُا عَنْدما تُنْقَلُ؛ تنقل مقلوبة، فإذا ما ذهبت إِلَى مركز الترجمة فِي المخ لكي يعيدها إِلَى أصلها؛ أعادها إِلَى وضعها الأصلي، وأعطاها حجمها الأصلي.

هذا كله إنما هو مؤثرات تتعلق بالضوء، وكل الخلايا العصبية جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لها مؤثراتها، فأنت – مثلاً – إِذَا ما ضغطت فجعلتَ المؤثر هاهنا هو الضغط على الأذن؛ سمعت صوتًا، وكذَلِكَ إِذَا ضغطت

على العين؛ فإنك ترى نجومًا، فيتحول الضغط هاهنا من مؤثر هو الضغط إِلَى ما يستجيب له هذا العضو من المؤثرات وهو الضوء، فإذا ضغطت على عينك؛ رأيت النُّجُوم فِي عز الظهر، وكذَلِكَ إِذَا ما ضغطت على أذنك؛ فإنك تسمع وَشًّا كما يَقُولون؛ فهذا كله من المصادفة؟!!

هذا كله من لا شيء؟!!

هذا كله خلقه الإنسان بنفسه لنفسه؟!!

تنتقل الذبذبات بعد ذَلِكَ عَنْ طريق الأعصاب إِلَى مركز السمع بالمخ؛ ليدرك الإنسان أو الحيوان سماع الأصوات المختلفة بعضِها عَنْ بعض؛ هل يمكن أن يحدث كل هذا فِي وقت واحد عَنْ طريق المصادفة؟!!

نظرية الاحتمالات فِي العلوم الرياضية تنفي المصادفة هاهنا نفيًا قاطعًا، وتَحْدُثُ فِي الكائنات الحية أشياءُ عجيبةٌ جدًا، وهي لا تعد ولا تحصى، فما كشفه الإنسان منها وما وصل إِلَيْهِ لا شيءَ بالنسبة لحقيقة وُجُودها، وهذه كلها تَدُلّ على وُجُودِ مَنْ رَتَّبَ وقَدَّرَ لاستمرار بقاء الكائنات.

هُنَاكَ أمور تَحْدُثُ – مثلاً – لِديدَانِ الفِلاَرْيَا، وهذه الديدان إِذَا أصيب بها الإنسان؛ سببت له مرضًا يقال له «مرض الفيل»، سببها ديدان الفلاريا هذه.

هذه تَغِيضُ فِي طورها الكامل فِي الأوعية اللِّنفَاوِيَّةِ والغُدَدِ اللنفاوية للإنسان، وتسد الأوعية اللمفاوية، فتسبب تضخم بعض الأعضاء، وعلى الأخص ما يحدث فِي الساقين أو فِي إحداهما، حتى تصبح ساق الإنسان فِي حجم ساق الفيل، ولِذَلِكَ قيل له: «داء الفيل»، أو «مرض الفيل».

تتزاوج هذه الديدان فِي أثناء وُجُودها داخل الأوعية اللمفاوية للإنسان، وتنتج ديدانًا صغيرة تنتقل من الأوعية الليمفاوية إِلَى الأوعية الدموية، وإذا بقيت هذه الديدان فِي الأوعية الدموية للإنسان؛ فإنها تعجز عَنْ إتمام دورة حياتها، إذ لا بد لها من أن تنتقل إِلَى جسم بعض أنواع البعوض؛ لكي تتم تلك الدورة، ولكي تصبح قادرة على عدوى الإنسان، فإذا امتصت البعوضة دم إنسان مصاب؛ فإنها تمتص مع الدم عددًا من هذه الديدان الصغيرة التي تنمو داخل جسم البعوضة حتى يكتمل نموها فِي دورة حياتها، وتصبحُ قادرة على عدوى الإنسان إِذَا حقنتها البعوضة فِي دمه فِي أثناء عملية امتصاصها لدم الإنسان الَّذِي تتغذى عليه.

وما الَّذِي يجعلها تحقنها فِي دمه؟

لأَنَّهُا تُفْرِزُ مادةً تحْقِنُها فِي دم الإِنسان حيث لدغته؛ من أجل ألا يتجلط الدم، فكذَلِكَ تصنع البعوضة، فحينئذ يكون ذَلِكَ الطور من أطوار حياة تلك الدودة جاهزًا لإِصابة الإِنسان.

حاول الْعلماء الحصول على هذه الديدان من دم المصابين بهذا المرض؛ ولَكِنَّ جميع محاولاتهم كَانَت تبوء بالفشل، إِلَى أن وقع شيء عجيب:

في إحدى الليالي كَانَ أحد الْعلماء ساهرًا فِي معمله حتى ساعة متأخرة من الليل، فأخذ عَيِّنَةً من دم إنسان مصاب بتلك الديدان، وفحصها تحت المجهر، فوجئ بعدد هائل من هذه الديدان فِي العينة التي أخذها، في أثناء النهار فِي اليوم التالي أخذ عينة من المصاب نفسه، فلم يجد للديدان أثرًا، احتار فِي تفسير هذه الظاهرة العجيبة؛ لماذا توجد هذه الديدان فِي عينة الدم التي أخذها من المصاب ليلاً، ولا تظهر إِذَا أخذها نهارًا؟

ثم اتضح بعد ذَلِكَ أن تلك الديدان الصغيرة تهرب إِلَى الأوعية الدموية الداخلية فِي أثناء النهار، ثم تعود إِلَى الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد فِي أثناء الليل، والحكمة فِي ذَلِكَ: هي أن البعوض الَّذِي يتغذى على دم الإِنسان فِي هذه الأماكن لا ينشط إلا فِي أثناء الليل، ولذا فإِن الديدان تنتقل إِلَى الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد؛ لكي يتمكن البعوض من امتصاصها مع الدم؛ لِتُتِمَّ دورةَ حياتها داخل جسم البعوضة.

فهذه الديدان قطعًا لا تدرك شيئًا من هذا ولا تعلمه، ولا تعلم شيئًا عَنْ البعوضة التي ستُتم دورة حياتها داخل جسمها، بل تفعل هذا عَنْ غريزة وتوجيه وهداية من الله جَلَّ وَعَلاَ.

إِذًا؛ هُنَالِكَ سبب وراء ذَلِكَ، وهذا السبب هو وجود خالق خلاق عليم قدير فعال لما يريد.

ومن العجيب: أَنَّهُ فِي الأماكن التي تنشط أنواع البعوض التي تمتص الدم فِيها نهارًا ولا تنشط ليلاً، تجد أن الديدان تفعل العكس، فتبقى فِي الأوعية الدموية الداخلية ليلاً، وتهاجر إِلَى الأوعية الدموية نهارًا؛ ليتمكن البعوض فِي هذه الحال من امتصاصها مع الدم، فهذا بعوض نهاري، فتتعرض هي له، تتبرج له بتعرضها تبرجَ الأنثى تصدت للذكر؛ لتتم دورة الحياة، وأما البعوض الليلي؛ فهذا البعوض الليلي تظهر له ديدان الفِلاَريا فِي الأوعية الدموية السطحية من أجل أن تُتِمَّ دورةَ الحياة فِي ذَلِكَ البعوض.

هل يحدث هذا عَنْ طريق المصادفة؟!!

يقول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**، فتأكد هذه الآية الْعَظِيمة مع آيات أخرى كثيرة فِي القرآن المجيد أن الله سبحانه هو الخَالِق وحده لهذا الكون بإرادته، وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى جعله على هذا النحو بتلك الإرادة الفاعلة والقدرة الطليقة على مقتضى علمه وحكمته.

والباحث المتأمل فِي كل خلق إلهي يجد الكثير من الدلائل التي يدحض بها مزاعم الْمُلْحِدِينَ والمشركين وافتراءاتهم؛ سواءٌ فيما يزعمون من نشأة الحياة بالصدفة، أو ما ينسبونه للطبيعة من قدرة على الاختيار والانتقاء، وإعمالِ القوانين فِي حركة الكون والحياة، أو ما يزعمون من تطورٍ للمخلوقات أدى إِلَى ارتقاء الجماد والحيوان، وانحدار الإنسان من أصل مشترَك بينه وبين القِرَدَةِ العليا، وهذه كلها مزاعم فلسفية، هذه ليست بالمزاعم الْعِلْمية، هذه مزاعم فلسفية!!

خيالات!!

والمنطق الْعِلْمي نفسه يرفض تلك المزاعم، ويكشف غاياتها الخبيثة فِي تزيين الْكُفْر والإِلْحَاد.

إذا بحثنا فِي جسم الإنسان – على سبيل المثال –؛ نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التي تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، ولم يتطور من جماد وحيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع إله قادر عليم جبار يملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هي قوة القصد الإلهي التي تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات مصداقا لقوله تعالى : **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ*** ولقوله تبارك وتعالى : **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ* مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**.

من أمثلة التوافقات والتنظيمات المعجزة فِي جسم الإنسان : أن خلايا الجسم دائمة الانقسام للعمل على نمو الجسم، أو لتعويض ما يفقد أو يموت من هذه الخلايا.

أما الخلايا العصبية؛ فهي لا تنقسم؛ لأَنَّها لو انقسمت؛ تحدث كارثة مروعة بتلاشي جميع معالم الذاكرة فِي الخلايا العصبية للمخ، فهذه الخلايا العصبية هي؛ ولَكِن هذه الخلايا العصبية لها قانونها الخاص، وهي خلية حيوانية؛ ولَكِنها سوى الخلية الجسمية، فالخلايا الجسمية تتكاثر، وأما الخلايا العصبية؛ فما دمر منها فإنه لا يعاد.

عضلات الرحم عَنْد المرأة أقوى عضلات الإنسان؛ للحاجة إِلَى تلك العضلات فِي دفع الجنين عندما يأذن الله تعالى بخروجه من بطن أمه.

تلي عضلات الرحم عضلات القلب التي لا بد أن تكون قوية لتحتمل العمل ليلاً ونهاراً، وتدفع الدم باستمرار إِلَى الأوعية الدموية لمدةٍ قد تطول فِي بعض الأحيان لأكثر من مائة عام.

وكذَلِكَ ما يتعلق بعضلات الفكين؛ لأَنَّهُ لا بد من طحن ذَلِكَ الغذاء، فالإنسان كم يطحن من أطنان من الطعام فِي حياته؟!

فهو يحتاج إِلَى أن تكون هذه العضلات فِي غاية من القوة.

عند حدوث جرح من الجسم؛ يندفع الدم من الأوعية الدموية المجروحة؛ ولَكِنه لا يلبث أن يتجلط عَنْد مكان الجرح لِيُوقِفَ استمرارَ النزيف، ولو لا هذا التجلط لظل النزيف حتى الموت.

المعدة فِي الإنسان أشبه بمصنع كيميائي أعده الله تعالى لكي يعمل وينتج مواد كيميائية أكثر مما ينتجه أي معمل ابتكره الإنسان، فالمعدة تقوم تلقائيًا بتحليل ما يتناوله الإنسان من أطعمة على اختلاف أنواعها، وتقوم بمعالجتها وتجهيزها من جديد، وتتولى فرزها وتصنيفها وتوريدها بصورة مستمرة ومنتظمة إِلَى الأمعاء من أجل أن تُمْتَصَّ إِلَى الدماء؛ لتصل إِلَى كل خلية من بلايين الخلايا على حسب احتياجات هذه الخلايا وتخصصاتها؛ لتكوين العظام أو الأظافر أو الشعر أو اللحم أو الأسنان أو الأنسجة أو الدم أو غيرِ ذَلِكَ.

ولا تَغْفُلْ عَنْ شيء مهم يدل على وحدة النظام فِي الكون، وهو بالتالي يدل على الإله الواحد الأحد: أن هذا الغذاء واحد، فالَّذِي تأكله شيء واحد، يعني مهما تعددت أنواعه من طعام وشراب هو شيء واحد؛ ولَكِنه يصير على هذا النحو يصير خلايا جسدية، يصير حيوانات منوية، أو يصير بويضات عَنْد الأنثى، يصير عرقًا، يصير دموعًا، إِلَى غير ذَلِكَ من هذه الأمور، وهو شيء واحد!!

فالذي يؤخذ ليصير على هذه التنوعات المختلفة هو شيء واحد، ولَكِن الله عز وجل هو الخلاق العليم.

الأذن البشرية – كما مر – عضو معقد جدًا، وهو بالغ الحساسية، يقوم بتحليل الأمواج الصوتية ونقلها إِلَى المخ فِي صورة تيار معين يَسْرِي فِي العصب السمعي إِلَى مركزٍ خاصٍّ فِي المخ، فَيُحِسُّ الإنسان بسماع الصوت.

خلق الله الأذن البشرية، وجعل استجابتها محدودةً بِمَدىً معين من الذبذبات، يتراوح ترددها – وهو عددها فِي الثانية الواحدة؛ مثل ما تأتي بالشوكة الرنانة، ثم تضربها فِي جسم ما، ثم ترى تلك الذبذبات، فعدد الذبذبات فِي الثانية الواحدة هو التردد –.

الأذن تسمع ترددات الأصوات من عشرين إِلَى عشرين ألف ذبذبة فِي الثانية الواحدة، لو قل عَنْ هذا العدد – عَنْ العشرين ذبذبة فِي الثانية الواحدة –؛ لا يسمع.

كم من الأصوات فِي الكون تحت هذا المستوى من الذبذبات وأنت لا تسمعه؟!

كثيرة هي.

وكذَلِكَ ما فوق العشرين ألفًا من الذبذبات فِي الثانية الواحدة، ما زاد على ذَلِكَ لا تسمعه، فيكون حولك وأنت لا تسمعه؛ لكي تنعم بالهدوء، ولكي لا تسمع الموجات الأقل أو الأكبر من هذا المدى، وإلا ظللت فِي شغل دائم أبداً حتى لا تنام.

لو استجابت الأذن لكل الذبذبات الصوتية؛ لعاش الإنسان فِي ضجيج لا ينقطع، لِذَلِكَ تنفي هذا الأثير من أصوات تلتقط بوسائل معينة وأنت لا تسمعها.

الزحام فِي الأثير أكبر من الزحام فِي الأَرْض، زحام ترددات الأصوات فِي الأثير على حسب الإرسال والاستقبال لا يعلم عدده إلا الله جَلَّ وَعَلاَ، لِذَلِكَ تتكلم الملائكة وأنت لا تسمع، تتكلم الشياطين وأنت لا تسمع، تتكلم الحيوانات أنت لا تسمع، ولَكِن إِذَا مكنك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من ذَلِكَ؛ فهذا شيء آخر، فقد مكن الله جَلَّ وَعَلاَ سليمان عليه السلام من معرفة لغات تلك المخلوقات.

الذي يقال عَنْ الخلايا والعضلات والدم، وكذَلِكَ عَنْ المعدة والأذن؛ يقال عَنْ العين واللسان والأنف والحنجرة والجلد وغيرها من ملايين التنظيمات والتوافقات الرائعة فِي جسم الإنسان؛ بل ومختلف التنظيمات الموجودة فِي كل الكائنات النباتية والحيوانية مما يدل على أن جميع المخلوقات خلقت منذ البداية على نحوٍ من الدقة المقصودة التي لا تدع مجالا للصدفة أو للاحتمال.

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ.**

هذه الآية الكريمة وغيرها، كثير من آيات القرآن المجيد تدعو إِلَى إعمال العقل فِي إثبات وُجُود الإله الواحد والخَالِق العليم كضرورة حتمية لوجود هذا الكون، واستمرار حركته منذ بداية خلقه، وحتى يقضي الله فِيه أمرًا كَانَ مفعولاً؛ لَكِنَّ المُلْحِدِينَ والكافرين لا يعلمون، أو لعلهم لا يريدون أن يعرفوا.

هذه الحْقيقة الواضحة بالرغم من اعتراف بعضهم بوجود النظام فِي الكون وسريان الحكمة والروح فِي الوجود؛ فهم عاجزون عَنْ أن يشعروا بوجود منظم مدبر خالق لهذا الكون؛ لأَنَّهُم استسلموا لأوهام الفكر، وبالغوا فِي تقديس العقل وما يستنبطه من علم، ونَسَوْا أو تَنَاسَوْا وُجُود خالقِ العقلِ وخالقِ الْعِلْم وخالقِ كل شيء فِي هذا الوجود؛ ليقوم بوظيفته التي هيأه وأعده لها على أكمل وجه.

لقد تمادى هَؤُلاَءِ الْمُلْحِدُونَ عبر العصور فِي غيهم، وحاولوا أن يبدلوا سنة الله التي لا تتبدل، وأن يثبتوا أن الله غير موجود، ولم يستطع أحد منهم أن يقدم دليلاً واحداً يؤيد إنكارهم لوجود الله.

كما مر: الَّذِي يجحد وُجُود الخَالِق، ويطلب من المؤمن أن يأتي بالأدلة على وُجُود الخَالِق الْعَظِيم؛ فليقل له المؤمن: فلتأت أنت بدليل واحد على أَنَّهُ غير موجود!!

يعني أنت تطالب المؤمن بأن يأتي بأدلة على وُجُود الله جَلَّ وَعَلاَ، وهو يطالبك لأنك أنكرت، فهو يطالبك بأن تأتي بدليل واحد على عدم وُجُود الخَالِق الْعَظِيم!!

لا يملكون دليلاً أبداً؛ بل الأدلة كلها تثبت وُجُود الخَالِق الْعَظِيم، ولَكِنْ عبثًا يمكن إقناعهم؛ لأن لديهم بقعة عمياء فِي عقولهم تمنعهم من تصور الله، تجعلهم لا يستمعون إِلَى كلام الله، ولا إِلَى بلاغ الأنبياء والرسل، بل لا ينصتون لحقائق البحث الْعِلْمي فِي مختلف ظواهر الكون والحياة؛ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.**

والْعِلْم الصحيح يقدم لنا الأدلة الكثيرة على وُجُوده تعالى وعلى وحدانيته، ويدحض مزاعم الْمُلْحِدِينَ والكافرين، ويقف بقوة – أي الْعِلْم المادي الَّذِي يتخذونه تَكِأَةً من أجل إنكار وُجُود الخَالِق!! –، فالعلم نفسه يقف بقوة مع دعوة الدين إِلَى إعمال العقل بعيداً عَنْ الهوى والتعصب؛ لكشف حقائق الوجود، والاهتداء إِلَى الإيمان الخالص بالخَالِق الواحد الأحد – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – على هدى وبصيرة، فليس من المعقول أن يفكر الجماد فِي تطوير نفسه، أو أن تمنح الطبيعة الجامدة نفسها قبس الحياة، أو أن تحكم المصادفةُ حركةَ الكون، ويتولدَ النظام تلقائيًا من الفوضى والعشوائية!

وكان دائما قولهم: إِذَا كَانَ الله تعالى موجوداً من غير سببٍ موجِدٍ؛ فلماذا لا يكون العالم أَيْضًا موجوداً من غير سبب موجد؟

والإجابة: لأن الله تعالى أزلي، أول لا بداية له، ولا شيء قبله، بينما الكون حادث، أوجده الله رب العالمين الَّذِي أوجد كل شيء، وخلقه الله تعالى الَّذِي خلق كل شيء

نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ علينا إيماننا، وأن يثبتنا عليه حتى نلقى الله تبارك وتعالى غير شاكِّين ولا مترددين ولا زائغين ولا ضالين ولا مضلين، إنه تعالى على كل شيء قدير.